محمود محمد طه

الرسالة الثانية من الإسلام

الطبعة الأولى
صفر ١٣٩٦هـ فبراير ١٩٧٦

محمود محمد طه

من
رقائق حضارتنا
الآتية

الطبعة الثانية
صفر ١٣٩٦هـ فبراير ١٩٧٦

الإهداء :-

الذين قيل فى حقهم :

« ان فى ذلك لذكرى لمن كان
له قلب ، او ألقى السمع ،
وهو شهيد .. »

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا بصائر للناس ، وهدى ، ورحمة ، لقوم يوقنون"

صدق الله العظيم..

مقدمة

هذا الكتاب ، هو عبارة عن خطاب كتب فى الرد على الشيخ ابو زيد محمد الأمين الجعلى ، فى ٢٤/ فبراير عام ١٩٧٤ ، الموافق ٣٠ محرم عام ١٣٩٤ .. رأينا نشره على الناس لما احتوى عليه من تفصيل وافٍ « للدعوة الاسلامية الجديدة » ، وتوضيح وتبسيط لأصولها ، فما زال الناس يحتاجون ذلك كل يوم ..

ان اقتناعنا التام هو ان ليس للبشرية نجاة ولا فلاح إلا بهذه الدعوة العلمية للاسلام ، والتى انما هى اصول التوحيد - اصول القرآن وهدى السنة النبوية .. ولانها هى هذه الاصول الاصيلة من الدين فقد صارت دعوة علمية ، لم يسبق لها مثيل فى تاريخ البشرية الطويل .. فقد عرف الدين عندنا بوجهه العقيدى ، ولم يعرف وجهه العلمى الذى يتساوى بالعقيدة ليبلغ بها مداخل العلم بالله .. فى هذا المستوى الاسلام دين انسانى .. « الاسلام دين الفطرة » كما قال الحديث النبوى ..

وهو فى القرآن « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .. والفطرة انما هى العقل والقلب - العقل الصافى والقلب السليم .. وهى التى تلتقى فيها الانسانية جمعاء ، من حيث انها انسانية .. ففى مرحلة العقيدة

يختلف الناس، ويحتربون: «كل حزب بما لديهم فرحون».. أما عند الفطرة فان الناس يجتمعون .. وإذا فهم الإسلام على انه هو هذه الفطرة، فان الناس سيجتمعون عليه ..

بهذا المستوى، تم دعوة الإسلام دعوة علمية وانسانية - دعوة للفكر، وللمحبة، وللسلام .. ونحن في هذا المستوى، دعاة بعث للحياة الانسانية بجميع اطرافها .. نحن دعاة تغيير، عن طريق احداث الثورة الفكرية، والثورة الثقافية، وذلك باعادة صياغة الافراد والمجتمعات، «بلا إله إلا الله».

واليوم نقف امام هذه الثورة الفكرية العاصفة، ويحاول تعويقها، اشياخ عاشوا على الدين، يتمسكون بقشوره، بلا فكر ولا فحص .. لسانهم يقول: «هذا ما وجدنا عليه آباءنا» .. وما وجدوا آباءهم الا دنين إلا على هذه القشور، بعد ان انحط المسلمون، وفارقوا لباب دينهم، وخرجوا من التاريخ المعاصر ..

وهذه الدعوة، هي لأن يدخل المسلمون التاريخ من جديد.. هي لأن تعود للاسلام روحه، وسطوته، وريادته للقافلة البشرية.. هي لتعود «لا إله إلا الله» حارة من منحرها، وخلاقة في صدور الرجال والنساء، كما كان العهد بها في شعاب مكة ..

فان وقف امام تيار هذه الدعوة اقوام، فانما هو الجبل، وان عارضها من يسمون (برجال الدين)، وحاولوا تعويق مسيرتها، فانما هي الهزيمة المنكرة تحل بهم في عقر دارهم، وانما هو الخزي يلاحقهم، واحداً، واحداً .. وسنرى، وسيرى الناس!!

والله المستعان ..

بسم الله الرحمن الرحيم

ام درمان في ٢٤ فبراير ١٩٧٤ الموافق ٢٠ محرم ٩٤

ص.ب ١١٥١

الى حضرة الأخ العزيز الشيخ أبوزيد محمد الأمين الحبلي، زاده الله من نوافل البركة، وسوابغ الإحسان ..

تحية طيبة ..

اما بعد، فاني أحمد لك الله الذي لا إله غيره، وأشكره، ولا أكفره، وأسأله لي ولك، عافية الدين والدنيا .. ثم إن جوابك (بدون تاريخ) قد وردني، ويجري نصه كالآتي:

« بسم الله الرحمن الرحيم

الصديق القديم محمود أفندي محمد طه

المحترم

السلام عليكم ورحمة الله، وقع في يدي كتاب العبادلة للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه ورأيت في رسائلك أنك ترتضي قوله وتستدل به علماً سديداً وإليك أهدي كتابه هذا [العبادلة] لتطلع عليه إن لم يكن وصلك قبلاً فإن وصل إليك فلله الحمد وإن كان مكرراً عندك فآسف أن ترده إلى ولك الشكر ..

ولقد لقيت شخصية أتأكد أنها توصله إليك والله يجمعنا على الحق ويصرنا به إنه سميع مجيب ولك الشوق والسلام عليكم ورحمة الله.

أبوزيد محمد الأمين ..»

لقد وصلني الكتاب المذكور أعلاه، وهو كتاب قيم، ولم يتفق

لى أن رأيته قبل الآن ، ولم أسمع به ، فأنا ، على ذلك ، مأذون منك فى الاحتفاظ به .. فجزاك الله عن صديقك القديم كل خير.
ولا زلت وفياً للأصدقاء ، كثير البر بهم ، وإن تقادم عهدهم ، كعهدى بك قديماً ..

حقاً انني لكثير الاعزاز للشيخ الأكبر ابن عربى ، وكثيره لجميع السلف الصالح ، كبار الصوفية منهم ، بشكل خاص ..

ظننت أنك لابد ترمى من وراء تقديم هذا الكتاب لصديقك القديم إلى غرض معين .. فأنت لابد مشغول ، كثيراً أو قليلاً ، بما تسمع عنى .. عسال تريدنى على أن أطلع ، بشكل خاص ، على ما ورد فى صفحة ٢٢ من كتاب " المبادلة " هذا ويجرى النص هكذا :-

« ومع هذا التروع والطموح فهو بحكم التوفيق خاضع للحد لا لك بميزان الشرع من مغبة الانحراف وضلال الطريق ، وقد كرر هذا المعنى كثيراً فى كتاب " المبادلة " وفى غيره من الكتب ، وألح على ضرورة القبض على ميزان الشرع والعض عليه بالنواجذ فى كل حال فزيادة على ما فى المبادلة من ذلك يروى عنه بن الصباد قوله :-

« رأيت فى واقعة وأنا ببغداد سنة ثمان وستمائة أن السماء قد فتحت ، ونزلت خزائن الملك الاعلى مثل الطير العام ، وسمعت قائلا يقول : ماذا نزل إليه من المكر ؟ فاستيقظت وعوداً ونظرت فى السلامة من ذلك فلم أجدها إلا فى العلم بالميزان المشروع . فمن أراد الله به خيراً وعصمه من غوائل المكر فلا يضع ميزان الشرع من يده ..

« ويقف خضوعه لهذا الميزان مع نزوعه وسبق روحه إلى

آفاق العلماء، ما نقله عنه الشعراني في اليواقيت، تعلا عن لفتوحات
المكية ٤٦، حيث يقول: إياك أن ترمي ميزان الشرع من يدك
في العلم الرسمي، بل بادر الى العمل بكل ما حكم وان فاتك منه
خلاف ما يفرحه الناس مما يكون بينك وبين ارضاء ظاهر الحكم
به فلا تقول عليه، فإنه مكر الى في صورة علم، الى من حيث
لا تشعر، وأعلم أن تقديم الكشف على النص ليس بشيء عندنا
لكثرة اللبس على أهله والا فالكشف الصحيح لا يأتي قط الا
موافقاً لظاهر الشريعة، فمن قدم كشفه على النص فقد خرج
عن الانتظام في سلك أهل الله، ولحقه بالأخسرين أعمالاً »
انتهى كلام الشيخ الأكبر، وانتهى كلام محقق كتاب المعادلة..

علام يقوم امرنا؟؟

وأبادر فأطمئنك على أمرين هامين: أولهما أني لم أضع ميزان الشرع من يدي..
وثانيهما اني لم ابن شيئاً من أمري على كشف يخالف ظاهر
النص.. أول ما يجب الإشارة إليه، هو أن أمرنا هذا يقوم
على يقين لا ينزعزع بأن الإسلام عائد ليدخل في حياة الناس،
فينظم أمر معاشهم، وأمر معادهم، ويبعث « لا إله إلا الله »
في صدور الرجال، وصدور النساء، بعثاً، قوياً، خلاقاً، يعيد
صياغة الأخلاق، وصياغة الأفكار، كالعهد بهذه الكلمة لدى
أول نزولها على نبينا الكريم، في القرن السابع الميلادي.. ومما
لا شك فيه عندنا أن الإسلام لا يعود إلا بفهم جديد لنصوصه

القديمة، في القرآن - وفي الحديث .. وهذا الفهم الجديد لابد أن نصحبه غربة تشبه الغربة التي صحبت أول مجيئه .. فلقد وردت الإشارة إلى هذا الأمر في الحديث الكريم .. « بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً، كما بدأ .. فطوبى للغرباء !! قالوا : من الغرباء يا رسول الله ؟؟ قال : الذين يحيون سنتي بعد اندثارها !! ».

الشرع شرعان والنص نصان !!

ولقد يحسن بنا، في مقامنا هذا، أن نظلل على رأينا في ماهو الشرع ؟؟ وماهو النص ؟ فالشرع عندنا شرعان : شرع كان عليه النبي، في خاصة نفسه، وشرع كانت عليه الأمة .. فأما الشرع الذي كان عليه النبي، في خاصة نفسه، فهو معروف بالسنة .. والسنة، عند الفقهاء، هي عمل النبي، وقوله، وإقراره .. فانتهى بذلك الأمر عندهم بالآ فرق بين السنة والشريعة .. فشريعة النبي هي سنته .. والأمر عندنا بخلاف ذلك .. عندنا أن النبي كنبي قد كلف بشرع لم تكلف به الأمة .. ولقد قال في أمر نبوته، وأمر رسالته إلى الأمة : « أدبني ربي فأحسن تأديبي، ثم قال : خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين .. » فصدر هذا الحديث نبوة، وعجزه رسالة، والفرق بين النبوة وبين الرسالة كالفرق بين النبي والرجل من سائر أمته ..

وعن هذا الفرق الشاسع وردت الإشارة بقوله : « نحن معاشر

لسياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ..» وهذا يعني
ن شريعة الرسالة تختلف ، اختلاف مقدار ، عن شريعة النبوة
(عن السنة) .. شريعة الرسالة تنزل من شريعة النبوة لتخاطب
الناس على قدر ما تطيق عقولهم ، ولتكلفهم بالقدر الذى
يستطيعون التزامه ، من غير مشقة ، ولا عنت ، ولتحل مشاكلهم
التى تواجههم ، فى معاشهم ، وفى معادهم ، حلاً يحفز تقدمهم ، من
غير أن يشق عليهم ، أو يتوانى بهم ..

شريعة النبوة وشريعة الرسالة ..

ومعلوم ان التداخل قائم بين شريعة النبوة وشريعة
الرسالة .. وهناك نقطة فى هذا التداخل ، يقف عندها تكليف
الأمة ، ويستمر تكليف النبى «كنبى» .. وهذا ما عنيناه باختلاف
المقدار بين الشريعتين ، وهو بعينه ما عنيناه حين قلنا ، أن السنة
هى عمل النبى ، فى خاصة نفسه .. وللأمثلة على ذلك نسوق ثلاثة
نماذج :-

١- الصلاة المكتوبة هى شريعة ، وهى سنة .. والتكليف بها يتوجه
إلى الأمة ، كما يتوجه إلى النبى ، ويزيد تكليف النبى منها إلى
صلاة الليل ، فإنها ، فى حقه ، فرض ، وفى حق الأمة على الندب ..
قال تعالى فى حقه: «يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه ، أو
انقص منه قليلاً * أو زد عليه .. ورتل القرآن ترتيلا * إنا

سنلقى عليك قولا ثقيلا * إن ناشئة الليل هى أشد وطأ، وأقوم قيلا * إن لك فى النهار سبحاً طويلاً ..» هى فى حقه فرض، لم ينقطع عن أدائه، لا فى سفر، ولا فى الحضر، لا فى الصحة، ولا فى المرض. وكان اذا فاته يقضيه .. وهى فى حق الأمة، على الندب، ومن باب التأسى بالنبى ..

٢- صيام المواصلة، فان لصيام المكتوب يتوجه التكليف به إلى الأمة، كما يتوجه إلى النبى .. ولكن تكليف النبى يزيد عن هذا بصيام المواصلة فى التطوع .. وهو ما عرف بالصيام "الصمدى" - يصوم ثلاثة أيام، وليلتين، فى اتصال لا يتخلله افطار.. ولما أراد بعض الأصحاب أن يتأسى به فى ذلك نهاهم .. فقالوا: « انا نراك تواصل، يا رسول الله !! » فقال: « انى لست كأحدكم، فانى أبيت عند ربى، يطعمنى، ويسقينى ..»

٣- المال، فان حق المال فى الزكاة يقع فى مستوى شريعة الأمة، ومستوى شريعة النبى .. والخطاب فى الزكاة ذات المقادير المعروفة يتوجه إلى الأمة، ولا يتوجه إلى النبى .. فان زكاة النبى تتعدى التكليف العادى، الذى توجب على أمته على قدر طاقتها، إلى تكليفه هو، فى مستوى طاقته .. فآية الأمة من كتاب الله: « خذ من أموالهم صدقة، تطهرهم، وتزكيهم بها، وصل عليهم .. ان صلاتك سكن لهم .. والله سميع، عليم ..» وآية النبى من كتاب الله: « ويسألونك ماذا ينفقون ؟؟ قل العفو !! » .. و « العفو» قد فسره

... قولاً، وعملاً، بأنه ما زاد عن حاجته الحاضرة .. فإنه لم يكن يدخر رزقه اليوم لغد .. ولو ادخره لم يكن قد تزكى .. وقد ورد أنه أتى بمال - ذات يوم، يقسم أصحابه في الصلاة، فلما رفع يديه وهم بتكبيرة الإحرام، أمسك قبل أن يكبر بها، وخرج مسرعاً إلى الحجرة، فلما عاد، ورأى الدهشة على وجوه بعض أصحابه، قال لهم: لعلكم قد أعجلكم ما فعلت .. قالوا: نعم، يا رسول الله!! قال: فإني تذكرت أن في بيت آل محمد ذهباً فخشيت أن ألقى الله وأنا كانز ..» وثابت، عند غير أدنى ريب، أن النبي لم يزكِّ الزكاة ذات المقادير .. فهي ليست من شريعته، في خاصة نفسه، وإنما هي شريعته لأمته .. فالزكاة ذات المقادير ليست الركن التعبدي المذكور في الحديث النبوي: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، لمن استطاع إليه سبيلاً ..» .. وإنما الركن التعبدي بالأصالة هو زكاة النبي .. وقد جعلت الزكاة ذات المقادير ركناً تعبدياً، في حق الأمة، وذلك بمحض الفضل الإلهي، لأن الأمة لا تطيعه أكثر منه .. وهذا من باب قوله تعالى: «لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ..» .. ومن باب قول النبي: «نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ..» .. فالزكاة ذات المقادير تنزل من زكاة النبي - هي شريعة الرسالة، منزلة من شريعة النبوة ..

هذه ثلاثة أمثلة نسوقها للتدليل على أن السُّنة غير الشريعة.. وتعريف العلماء بأن السنة هي عمل النبي، وقوله، وإقراره، تعريف خدم غرضه، وأصبح اليوم بحاجة إلى إعادة النظر، ابتغاء تنقيحه، ليتضح الطريق لتحديد معنى السُّنة، حتى نستطيع أن نخيرها، اتباعاً لبعث الإسلام، وذلك بمقتضى الحديث الذي أوردناه آنفاً: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً، كما بدأ.. فطوبى للغرباء! قالوا: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يحيون سنتي بعد اندثارها..» .. وأول ما ينبغي أن يقال، في هذا التصحيح، أن إقرار النبي كله شريعة، وليس بسُنة، على الإطلاق .. وأما قوله فمنه ما هو شريعة، ومنه ما هو سنة .. فالقول المراد به إلى تعليم الأمة، وتنظيمها، والتشريع لها، هو شريعة .. مثال ذلك حديث المقابر المشهور: (كنت قد نهيتكم عن زيارة المقابر، ألا فزوروها..) .. وأما القول المراد به إلى تعليم الأمة، والدال على حالة قلب النبي من المعرفة بربه، فهو من السُّنة، ولا حرج .. مثال ذلك: «إن الله قد احتجب عن البصائر، كما احتجب عن الأبصار .. وإن الملأ الأعلى ليطلبونه كما تطلبونه ..» .. هذا الحديث إنما هو لاحق بالسُّنة لأنه ناطق عن حالة قلب النبي - وحالة قلب النبي هي السُّنة، في الحقيقة، يَنمُّ عنها القول، ويَنمُّ عنها العمل، ولذلك فقد قلنا: أن السُّنة هي عمل النبي في خاصة نفسه..

متاهة القرآن..

هذا تصحيح ضروري

لنصل إلى تعريف المحدد للسنة، لنستطيع أن نبسط، لنعيد الإسلام إلى حياتنا الحاضرة ... إذا صح ما زعمناه من أن لدينا شريعتين: شريعة نبوة، وشريعة رسالة، فانه يصح أيضاً أن لدينا نصين: نصاً ناسخاً، ونصاً منسوخاً، هذا على أيسر تقدير، فيما نحن بصدده من الحديث عن النص الظاهر، وعن ميزان الشرع .. وانما يجئ النصان من طبيعة القرآن .. قال تعالى: « الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً، مثاني، تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين جلودهم، وقلوبهم، الى ذكر الله .. ذلك هدى الله يهدي به من يشاء، ومن يضلل الله فما له من هاد .. » ومعنى أنه « مثاني » ، أنه ذو معنيين، معنى في الطرف البعيد، ومعنى في الطرف القريب .. وانما يجئ ذلك من كون القرآن حديثاً عن الرب، في علياته، تنزل إلى العبد في الأرض .. ويجئ هذا المعنى في نص آخر: « حم * والكتاب المبين * انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون * وانه، في أم الكتاب، لدينا، لعلي حكيم .. » .. فهناك نص في ام الكتاب، وهذا ما يعتبر نصاً في الطرف البعيد .. وهناك نص في المصحف المحفوظ، والمقروء باللغة العربية بين ظهرانينا اليوم، وهو نص يمكن أن يعتبر في الطرف القريب .. نورد هذا القول، على

سبيل التمثيل، للتوضيح .. والا فان المثانى هذه موجودة فى المصحف، وباللغة العربية .. وأمثلتها كثيرة .. منها قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، حق تقاته، ولا تموتن إلا وانتم مسلمون ..» .. هذه آية فى المعنى البعيد .. ثم قوله تعالى: «فاتقوا الله ما استطعتم، واسمعوا، وأطيعوا، وأنفقوا خيراً لأنفسكم، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ..» .. هذه آية فى المعنى القريب .. وآتوا الزكاة .. فقوله: «ويسألونك ماذا ينفقون ؟؟ قل العفو !! » .. هذه فى المعنى البعيد .. ثم قوله تعالى: «خذ، من أموالهم، صدقة، تطهرهم، وتزكيهم بها، وصل عليهم .. ان صلاتك سكن لهم ..» .. هذه فى المعنى القريب .. ومنها قوله تعالى: «وقل الحق من ربكم .. فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر ..» .. هذه فى المعنى البعيد .. ثم قوله: «وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله .. فإن انتهوا، فلا عدوان إلا على الظالمين» .. هذه فى المعنى القريب ..

وجملة الأمر فإن نصوص المعنى البعيد هى نصوص أصول، ونصوص المعنى القريب هى نصوص فروع - وقرآن الأصول قرآن مكى، وقرآن الفروع قرآن مدنى ..

فإذا صح تقريرنا أن عندنا شريعتين اثنتين: شريعة النبوة، وشريعة الرسالة .. وإذا صح أيضاً أن لدينا نصين اثنين: نصاً فى المعنى البعيد - القرآن المكى - ونصاً فى المعنى القريب - القرآن المدنى - فإن أموراً كثيرة تنبثق

عن هذا التقرير ..

أمة المؤمنين وأمة المسلمين ..

من هذه الأخوة أن هناك أمتين اثنتين : أمة المؤمنين ، وأمة المسلمين .. فأما أمة المؤمنين فطليعتها ، وعلى رأسها أبو بكر الصديق ، ويليه ، على ذلك ، سائر الأمة إلى يوم الناس هذا .. وقد كانوا هم موضوع شريعة الرسالة .. وأما أمة المسلمين فطليعتها النبي الكريم .. ولم يكن معه يومئذٍ غيره .. فقد كان وحده المسلم ، في أمة المؤمنين .. ويجب أن نقرر هنا أن الأمة المسلمة لم تدخل في التاريخ بعد .. وحين كان النبي وحده المسلم في أمة المؤمنين ، فإنه قد اشتاق لأمة المسلمين التي لم تكن حاضرته يومئذٍ .. فقال حديثه المشهور بحديث الإخوان : « واشوقاه لإخواني الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : أولسنا إخوانك ، يا رسول الله ؟؟ قال : بل أنتم أصحابي !! ثم واشوقاه لإخواني الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : أولسنا إخوانك ، يا رسول الله ؟؟ قال : بل أنتم أصحابي !! ثم قال ، للثالثة ، واشوقاه لإخواني الذين لما يأتوا بعد !! قالوا : من إخوانك ، يا رسول الله ؟؟ قال : قوم يجيئون في آخر الزمان ، للعامل منهم أجر خمسين منكم !! قالوا : منا أم منهم ؟؟ قال : بل منكم !! قالوا : لماذا ؟؟ قال : لأنكم تجدون على الخير أعواناً ، ولا يجدون على الخير أعواناً !! » .. أمة المؤمنين هم الأصحاب ، وأمة المسلمين هم الإخوان ..

ومن الأمور التي تنشأ عن تقرير وجود الشريعتين ، والتضيق ، أن الإسلام إسلامان .. إسلام بدائي ، وإسلام نهائي .. فأما الإسلام البدائي فيعني الانقياد الظاهري ، ومنه أخذت أمة المؤمنين اسمها الشائع عليها اليوم : المسلمين - وهو يقع في درجات ثلاث ، هواها حديث جبريل المشهور ، وروايته : « عن عمر بن الخطاب ، قال : بينا نحن جلوساً عند رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذ طلع علينا رجل ، شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد .. فجلس إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فجعل ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع يديه على فخذيه ، فقال : يا محمد !! أخبرني عن الإسلام ، قال : الإسلام أن تشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتي الزكاة ، وأن تصوم الشهر ، وأن تحج البيت ، إذا استطعت إليه سبيلا .. قال : صدقت .. فعجبنا له ، يسأله ، ويصدقه .. ثم قال : فأخبرني عن الإيمان .. قال : الإيمان أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، وباليوم الآخر .. قال : صدقت .. ثم قال : فأخبرني عن الإحسان .. قال : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه ، فإنه يراك .. قال : صدقت .. ثم قال : فأخبرني عن الساعة .. قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .. قال : فأخبرني عن علاماتها .. قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة ، العراة ، رعاء الشاء ، يتطاولون في البنيان .. ثم انصرف .. فلبثنا مليا .. ثم قال :

يا عمر !! أتدرى من السائل ؟؟ قلت : الله ، ورسوله ، أعلم..
قال: هذا جبريل ، أتاكم يعلمكم دينكم .. »..

الإسلام إسلامان !!

فأصبح الإسلام البدائى ، وهو دين أمة المؤمنين ، يقع فى ثلاث درجات : الإسلام ، والإيمان ، والإحسان .. وهذه مرحلة عقيمة .. وأما الإسلام النهائى فيعنى الاستسلام والانقياد الكلى ، ظاهراً وباطناً - ويعنى الإذعان الكلى لأمر الله ، عن رضا وطواعية - وهو يقع أيضاً فى ثلاث درجات ، تلى درجات الإسلام البدائى .. وهذه الدرجات الثلاث هى درجات: علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين - ثم تتقيح هذه الدرجات الست بالإسلام النهائى .. فكأن الصورة هكذا : الإسلام البدائى ، ثم الإيمان ، ثم الإحسان ، ثم علم اليقين ، ثم عين اليقين ، ثم علم حق اليقين ، ثم الإسلام.. وهذا الإسلام الأخير هو المعنى بقوله تعالى : « إن الدين عند الله الإسلام.. وهو المعنى بقوله تعالى : « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه.. وهو فى الآخرة من الخاسرين .. » هذا ، فى حين ورد الإشارة إلى الإسلام البدائى ، فى قوله تعالى ، عن الأعراب : « قالت الأعراب: آمنا .. قل : لم تؤمنوا ، ولكن قولوا : أسلمنا ، ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم .. » فالإسلام البدائى أقل من الإيمان .. والإسلام النهائى أكبر من الإيمان .. ويعتبر الإسلام البدائى مدخلاً على الإسلام النهائى .. وحين خوى درجات الإسلام البدائى حديث

جبريل ، عن درجات الإسلام الثلاث في القرآن .. قال، عن علم اليقين ، وعلم عين اليقين « كلا !! لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها ، عين اليقين * ثم لتسألن ، يومئذ ، عن النعيم .. » وقال ، عن علم حق اليقين ، « إن هذا لهو حق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم .. » .. ولقد نزل ابراهيم الخليل منازل الإسلام، درجة ، درجة .. وتطور في مراقيه ، طوراً بعد طور .. ولقد قص الله تعالى علينا من خبره ، في مواضع كثيرة من القرآن .. فإنه ، بعد أن قطع درجات الإيمان الثلاث (مرحلة العقيدة) ، أراد أن يريه إحياءه الموتى ، فجاءت حكاية القرآن عنه هكذا :- « وإذ قال ابراهيم : رب أرني كيف تحيي الموتى .. قال : أولم تؤمن ؟؟ قال: بلى !! ولكن ليطمئن قلبي .. قال: فخذ أربعة من الطير ، فصرهن إليك ، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ثم ادعهن .. يأتينك سعياً .. واعلم : أن الله عزيز حكيم .. » .. قال: " بلى " ، في الجواب على سؤاله له : " أولم تؤمن ؟؟ " ، وهذا يعني الاعتراف بالإيمان ، ولكنه أراد الزيادة على الإيمان - أراد درجات الإيقان التي يكون اطمئنان القلوب - « قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » .. وتضطرد حكاية ترقيه ، في القرآن ، فيقول عنه ، جل شأنه ، بعد الآية السابقة في ترتيب الترقي : « وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » .. قال: « وليكون من الموقنين » ، ولم يقل وليكون من المؤمنين ، لأن إيمانه ، في تلك المرحلة ، قد كان مفروغاً منه .. وبعد مماسات

قبة ، وبحار كثيرة ، وقد علمنا القرآن ، فقال : « فلما جن عليه
الليل رأى كوكبا .. قال: هذا ربي !! فلما أفل ، قال : لا أحب
الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً ، قال : هذا ربي !! فلما أفل ،
قال : لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى
الشمس بازغة ، قال : هذا ربي !! هذا أكبر !! فلما أفلت
قال : يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي
فطر السموات والأرض حنيفاً .. وما أنا من المشركين * وحاجه
قومه .. قال : أتحاجوني في الله ، وقد هدان ، ولا أخاف ما
تشركون به ؟؟ إلا أن يشاء ربي شيئاً ، وسع ربي كل شيء
علماً ، أفلا تتذكرون * وكيف أخاف ما أشركتم ، ولا تخافون
أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً ؟؟ فأي الفريقين
أحق بالأمن ؟؟ إن كنتم تعلمون * الذين آمنوا ، ولم يلبسوا
إيمانهم بظلم ، أولئك لهم الأمن ، وهم مهتدون * وتلك
حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ..
إن ربك حكيم عليم .. » .. وفي قوله تعالى ، في ذلك .. « وإذ
ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن .. قال : إني جاعلك للناس
إماماً .. قال : ومن ذريتي ؟؟ قال : لا ينال عهدي الظالمين .. »
وهذه الكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم فأتمهن هي حادثة
الحريق بالنار التي شبطت له النمروذ ، وقتله فيها ، فانجاه الله
منها ، بعد توكله عليه .. وقصة مصورة .. وفي أخذ فرعون
مصر زوجته ساره ، فأعطت لبلتها في قصر فرعون ، وباتت

ابراهيم آمناً ، مطمئناً على زوجته .. وذلك لحسن ثقته بالله ، فاجاها الله ، واكرمها ، وأخذها وسيدة على هاجر .. وهذه قصة أيضاً معروفة ، فلا قوجب للخوض في تفاصيلها .. ومن هذه الكلمات تركه هاجر ، وطفله فقط ، اسماعيل ، في موضع البيت الحرام ، حيث لا زرع ، ولا ضرع ، ولا ماء ، ولا أنيس ، وذلك صدعاً بأمر الله اياه بذلك .. فلما قالت له زوجه : لمن تتركنا في هذا المكان الموحش ؟؟ قال : لله !! قالت : أالله أمرك بذلك ؟؟ قال : نعم !! قالت : اذن لا يضيعنا !! وهي من أمرها ، وأمر طفلها ، ماهو معلوم . وفي هذه الكلمات تنفيذ أمر الله في ذبح ابنه اسماعيل ، في غير تردد ، حتى جاء النداء من قبل القدس .. ويجري السياق هكذا : « فلما أسلما ، وتله للجبين * ونادياه : ان يا ابراهيم * قد صدقت الرؤيا .. انا كذلك نجزي المحسنين * ان هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على ابراهيم .. » وبعد هذا الابتلاء ، وهذا التجريب ، وهذه المعاسرة في صدق التوجه ، والتوكل على الله ، جاءه الأمر بالاسلام ، بعد أن جاء الأذن به : « إذ قال له ربه : اسلم !! قال : اسلمت لرب العالمين .. » .. هذا هو الإسلام الذاتي ، وذاك هو الإسلام البدائي ، فالإسلام اسلامان .. ومن الأمور التي تنشأ عن تقرير وجود الشريعتين ، والدينين ، أن الإسلام ثنائي ..

الإسلام رسالتان !!

رسالة أولى ،

قامت على فروع القرآن - على القرآن المدنى - وهذه موضوع رسالة الرسول محمد ، ويدخل فيه تبليغ القرآن المقروء كله ، وتفصيل ما يناسب أمة المؤمنين منه ، وذلك بالتشريع ، وبالتفسير .. قال تعالى فى ذلك : « وأنزلنا إليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل إليهم .. ولعلهم يتفكرون .. » .. « وأنزلنا إليك الذكر » تعنى القرآن كله .. وأما قوله « لتبين للناس ما نزل إليهم » فيعنى لتبين للناس ، بالتشريع ، وبالتفسير ، ما هو فى مستوى حاجتهم ، وفى مستوى عقولهم .. فيجب أن يكون واضحاً : أن التبيين لا ينصب على القرآن كله .. ذلك يمنع دينياً .. ذلك بأن القرآن لا يتم تبيينه على الإطلاق .. وروح هذه الآية فى الفاصلة : « ولعلهم يتفكرون » فإنهم ، بالفكر المروض ، والمؤدب بأدب الشريعة ، وأدب الحقيقة ، يرتفعون من مستوى النص فى المعنى القريب - القرآن المدنى - الى مستوى النص فى المعنى البعيد - القرآن المكى .. والقرآن المكى هو قرآن الأصول .. وهو ما قامت عليه الرسالة الثانية عن الاسلام .. وموضوع الرسالة الثانية من الاسلام هو نبوة النبى أحمد .. وهى هى شريعة الأمة المسلمة .. وهى الأمة التى لما تأت بعد .. قال تعالى فى حقها : « يسبح لله

وما في السموات، وما في الأرض، الملك، القدوس، العزيز، الحكيم * هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب، والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم، لما يلحقوا بهم، وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله، يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم ..»..

وردت الإشارة إلى هذه الآية بقوله تعالى: «وآخرين منهم لما يلحقوا بهم، وهو العزيز الحكيم * ذلك فضل الله، يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم ..» ومن هاتين الآيتين أخذ حديث الإخوان: «واشوقاه لإخواني الذين لما يأتوا بعد! قالوا: أولسنا إخوانك، يا رسول الله؟؟ قال: بل أنتم أصحابي!! واشوقاه للإخواني الذين لما يأتوا بعد!! قالوا: أولسنا إخوانك، يا رسول الله؟؟ قال: بل أنتم أصحابي .. قالها قال للثالثة: واشوقاه لإخواني الذين لما يأتوا بعد!! قالوا: من إخوانك يا رسول الله؟؟ قال: قوم يجيئون من آخر الزمان، للعامل منهم أجر خمسين منكم .. قالوا: منا أم منهم؟؟ قال: بل منكم!! قالوا: لماذا؟؟ قال: لأنكم تجدون على الخير أعواناً، ولا يجدون على الخير أعواناً..»

أجابته على سؤالهم «لماذا؟؟» الواردة في آخر الحديث - «لأنكم تجدون على الخير أعواناً، ولا يجدون على الخير أعواناً!!» - مأخوذة من الآية: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم ..». ويلاحظ أن

لم يرد في اتجاه الآية، ولا في مستوى الآية، وإنما كانت
إلى منه نزولاً على مستوى البلاغة في التبليغ.. وقد عبر
نبه بقوله: «نحن، معاشر الأنبياء، أمرنا أن نخاطب الناس
على قدر عقولهم..». وإنما قال لهم ما قال لئلا يثبطهم عن العمل..
الرسالة الأولى محمد ﷺ قرآن الفروع - القرآن المدني - وقد
وصلنا النبي تفصيلاً، وحمل الأمة المؤمنة على تطبيقه
جملاً.. الرسالة الثانية محمد ﷺ قرآن الأصول - القرآن
المكي - وقد أجمله النبي إجمالاً، ولم يقع في حقه التفصيل،
إلا في القدر المتداخل بينه وبين الرسالة الأولى، والذي في معنى
ما أنه عاشره، وطبقه في حياته الخاصة.. فرسول الرسالة
الأولى محمد، ورسول الرسالة الثانية محمد.. فصل الأولى،
وحمل عليه الأمة، وأجمل الثانية، وعاشره.. الأولى
شريعته، والثانية سنته.. ولا يعود الإسلام، من جديد،
على مستوى شريعته، وإنما على مستوى سنته.. وهذا
مقتضى الحديث الذي أوردناه آنفاً، وهو قوله: «بدأ
الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء!!
قالوا: من الغرباء، يا رسول الله؟؟ قال: الذين يحيون
سنتي بعد اندثارها..». ويجب أن يكون واضحاً، فإنه
لم يقل يحيون شريعتي، وإنما قال «يحيون سنتي»..
وهذا من أجل أن نصر نحن على التمييز بين الشريعة
والسنة..

الرسالة الأولى كالثانية والرسالة الثانية متحركة !!

لازمة الرسالة الأولى العقيدة، وسمط الثبات، إلاّ قليلاً .. فالسالك فيها إنما يتحرك في منطقة العقيدة، في الدرجات الثلاث: درجة الإسلام، ودرجة الإيمان، ودرجة الإحسان، وذلك قصاراه .. ولازمة الرسالة الثانية العلم، وسمط الحركة، إلاّ قليلاً .. فالسالك فيها يتطلعه في ترقه مستمر، يتنقل في سلم سباعي، درجاته الثلاث الأولى في حيز العقيدة ودرجاته الأربع الأخيرة في حيز العلم .. ذلك السلم السباعي هو الإسلام، فالإيمان، فالإحسان، فعلم اليقين، فعين اليقين، فحق اليقين، فالإسلام من جديد .. ثم تكرر هذه الدرجات السبع نقسط، ولكنها في مستوى يلطف كل حين .. والسالك فيها يسير في طريقه لولبي، كلما أتم دورة منه دخل في دورة جديدة، هي ألطف، وأرفع من سابقتها، وهكذا دواليك .. فهو يجدد علمه، وحياته كل حين، متخلقاً، في ذلك، بأخلاق الله، تبارك وتعالى: «كل يوم هو في شأن» ..

الصلاة وسيلة الحركة في المراقي

وأؤكد ما يكون هذا العمل في الترقي المستمر انما هو بمعراج الصلاة .. فالصلاة في الاسلام صلاتان ، كما هو الأمر في كل الشئون القرآنية ، والاسلامية ، كما سبقه أم بينا .. صلاة في المعنى البعيد ، وهي تلك التي فرضت يوم المعراج ، لقد سدرة المنتهى حيث تخلف جبريل ، وسار النبي وحده (لا غير واسطة) إلى مقام ورد في القرآن وصفه هكذا :- « إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى .. » هذا مقام أحدية ، وترية .. وفي ذلك المقام لم يكن بين النبي وربه واسطة ، ورفع حجاب الفكر عن النبي ، فتوقف ، فلم يتجاذبه الماضي : « ما زاغ البصر » ، ولم يتجاذبه المستقبل : « وما طغى » ، وانما شهد مكانه ، وزمانه ، فما شك في لحظته ، فكان وحدة ذاتية ، في وحدة مكانية ، في وحدة زمانية .. حققت له الوحدة من جميع الوجوه ، فرأى الواحد .. وقال ، عبارة عن هذا المقام ، « ليلة عرج بي انتسخ بصري ، في بصيرتي ، فرأيت ربي .. » .. هذه هي الصلاة الأصلية ، وهي الطير عند « ذكر الله » من الآية الكريمة : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء ، والمنكر ، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون .. » .. وقد عبر عنه المعصوم بقوله : الصلاة صلة بين العبد وربه .. وهناك الصلاة في المعنى القريب ،

وهى الصلاة الفرعية (الشرعية) ، التى فرضت يوم المعراج ، فى مقام : « قاب قوسين ، أو أدنى .. » .. وهذا المقام قد كان جبريل رافقاً للنبى فيه ، وكان النبى ، لطف رفقة جبريل له ، « شفعياً » ، لم يتم له « الوترية » بعد .. وقد فرضت عليه الصلاة الفرعية هنا - فى مقام « الشفعية » هذا - وجاءه جبريل ، فى الأرض ، بتفاصيلها - طهارتها ، وهيئتها ، وأوقاتها - وقد قال المعصوم عنها : « الصلاة معراج العبد إلى ربه .. » .. وقد جعلت صلاة المعراج هذه وسيلة إلى صلاة الصلة .. وقد قيل للنبى الكريم فى أمر التوسل بها ، والعروج عليها ، إلى المقامات العلا : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك ، عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً .. » والمقام المحمود هو المقام الذى ليس بينه وبين الله واسطة ، وهو بين الله وبين جميع الخلائق .. وصاحب المقام المحمود هو أول قابل لتجليات الحقيقة الالهية المطلقة .. ومنه امتدت جميع المخلوقات - علوها ، وسفلها - هو مقام أحدية وترية .. هذا المقام هو مقام الصلاة الكبرى - الصلة - وإليه توصل الصلاة الصغرى - صلاة المعراج - إذا أحسن استعمالها ..

انما يبعث الإسلام ببعث الصلاة!!

ما الذى نرمى اليه من وراء هذه الدعوة ؟؟ لقد قرأنا

إننا نعمل لبعث الإسلام ليعود فينا قوياً خلاقاً في صدور الرجال والنساء، كما كان العهد به في القرن السابع الميلادي، عندما انبعث في الناس، جديداً من منبعه.. والحديث عن بعث الإسلام يفترض انه غير موجود في الناس، إنه قد مات، وكونه قد مات حقيقة لا ريب فيها عندنا.. ولكنها تحتاج لأشد التوكيد عند الناس عامة، وعند علماء الفقه بخاصة، ذلك بأنهم يرون أن المسلمين يشهدون الشهادة، ويصلون، ويصومون، ويزكي كثير منهم، ويحجون، فهم، تبعاً لذلك، يرون أن المسلمين بخير.. والحق أن المسلمين اليوم انما هم يعيشون على قشرة الإسلام، دون لبه.. وهم لذلك يعيشون الجاهلية الثانية، وقد أورد لكم نذارة المصطفى التي قالها في أحاديث كثيرة، نذكر منها حديثين، هما: « يوشك أن تداعى عليكم الأمم، كما تداعى الأكلة على القصعة، قالوا: أومن قلة نحن يومئذٍ يا رسول الله؟؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثير!! ولكنكم غثاء!! كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم، ولينبذن في قلوبكم الوهن!! قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت!! » .. والحديث الآخر: « لتتبعن سنن من كان قبلكم، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه!! قالوا: أاليهود والنصارى؟؟ قال: فمن؟؟ » .. إن هذه الحقيقة يجب أن تتقرر، وأن تكون واضحة، قبل كل شيء.. فإننا، إن لم نستيقظ، فلا يمكن أن تكون هناك نهضة لتغيير الحال.. فان الراضي عن نفسه لا يرى ضرورة للتغيير.. فإذا تقرر هذا، وتوكد في الأذهان،

فإن أول عملنا هو بعث «لا إله إلا الله» فينا.. ولا يكون بعثها إلا بعودة الروح إلى الصلاة، وإلى جميع أعمالنا، أعمال العبادة، وأعمال العادة.. وإنما تعود الروح في أعمالنا بأن يدخل فيها الفكر، وتخرج منها العادة، التي هي آفتنا اليوم.. فإنه، كما قيل، آفة كل عبادة أن تكون عادة.. وعلى التحقيق، فإنه يمكن القول بأن السنة إنما هي إعمال الفكر فيما نأتي وما ندع.. فالفكر روح السنة.. وهو غرض الدين، في المكان الأول.. قال تعالى: «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم، ولعلهم يتفكرون».. فالعلة وراء انزال القرآن، وارسال الرسول، وتشريع التشريع، وفرض التكليف، إنما هو الفكر.. «ولعلهم يتفكرون..».. وأول الفكر أن نعرف ما تؤدي إلينا الصلاة الشرعية من ثمة فكرية، وحياتية.. وهذا يقتضي أن نعلم جيداً أن الصلاة إنما هي وسيلة، وليست غاية.. هذا الأمر غير واضح في أذهان الناس، مع أنه مقرر بصريح النص، قال تعالى: «وأقم الصلاة لذكري..».. وقال تعالى أيضاً: «يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة..».. وكون هذه الصلاة موصوفة بكلمة «المعراج» في حديث المصطفى: «الصلاة معراج العبد إلى ربه»، وحده يكفي في الدلالة على حقيقتها.. والمعراج السلم الذي على درجاته ترقى إلى المقامات.. وأول درجاته في مرتبة الشريعة الجماعية - شريعة الأمة المؤمنة - وأعلى درجاته في مرتبة الشريعة الفردية - شريعة

الأمة المسلمة - فنحن السالكون علينا أن نرتقي بكل صلاة
نؤديها ، بل بكل ركعة نعقدها - إن لم نصل بكل حركة ،
من كل ركعة - علينا أن نرتقي نحو غريزة الشريعة الفردية ،
لأن تكليفنا إنما هو « العبودية » بوسيلة « العبادة » .. قال
تعالى « وما خلقت الجن والإنس ، إلا ليعبدون .. » .. يعني
ليكونوا لي « عبيداً » بوسيلة « العبادة » .. وأعلى « العبادة »
الصلاة .. « والعبودية » إنما هي غريزة فردية .. وهي لا تتم
إلا إذا سقطت الوسائط بين الرب والعبد .. وهي لم تتم
لمحمد إلا بعد أن تخلف عنه جبريل ، وسقطت من بينه وبين
ربه ، بهذا التخلف ، الواسطة .. وتم في تلك اللحظة اللقاء
بين الرب والعبد .. والقرآن مستفيض بالدعوة إلى الشريعة
الفردية .. قال تعالى : « إن كل من في السموات والأرض ،
إلا آتي الرحمن عبداً * لقد أحصاهم ، وعدّهم ، عداً *
وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً .. » .. وقال تعالى : « ونرثه
ما يقول ، ويأتينا فرداً » .. وفي قوله تعالى : « يا أيها الإنسان
إنك كادح إلى ربك كدحاً ، فملاقيه .. » .. إشارة صريحة
إلى الفردية ، لأن لقاء الله لا يكون في المكان ، ولا في الزمان ،
وإنما يكون فينا .. وذلك بتقريب صفاتنا من صفاته .. وقد
يظن ظان أن هذه الفرديات لا تتم إلا يوم القيامة ..
وإنما يجرئ هذا الظن من ضعف في توحيد التوحيد لدى من
يظن هذا الظن ، فإن كل ما هو كائن يوم القيامة هو كائن
الآن .. هذا شيء لا ريب فيه ..

(وقال تعالى : « لقد جئتمونا فرادى ، كما خلقناكم أول مرة » ..)

فاذا أراد أحدنا أن يبحث: « لا إله إلا الله » فيه من جديد فإن عليه أن يقلد المعصوم، في أسلوب عبادته، وفي ما يطيقه من أسلوب عبادته، وأن يتقن هذا التقليد اتقاناً يخرج من إعتبار أي بدعة، مما سمى مؤخراً « بالبدع الحسنة » .. فان السنة لم تغادر صغيرة، ولا كبيرة، نحتاج في أمور عبادتنا، إلا وأوسطت تبليغاً .. فإذا اتقنا تقليد المعصوم نعلم، بضرورة هذا الاتقان، ان التقليد ليس غاية في ذاته، وانما هو وسيلة إلى الأصالة.. وعند الأصالة تزول واسطة النبي من بيننا وبين ربنا، وذلك لكمال تبليغه، وبرفع، بوالط عنا، الحجاب الأعظم، ونأخذ من الله بلا واسطة، ويكون الله هو معلمنا العلم اللدني .. والقاعدة في ذلك من كتاب الله: « واتقوا الله، ويعلمكم الله ..» .. ومن حديث المعصوم قوله: « من عمل بما علم، أورثه الله علم ما لم يعلم ..» وقوله أيضاً: « انما أنا قاسم والله يعطي، ومن يرد به الله خيراً يفقهه في الدين .. ولا تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يجيء أمر الله..» .. قوله: « انما أنا قاسم » .. يعني انما أنا مرسل « بالشريعة » .. قوله: « والله يعطي » .. يعني يعلم « الحقيقة » .. هذا نفسه هو معنى الحديث السابق، ومعنى الآية الكريمة .. « واتقوا الله » .. يعني اعملوا بالشريعة .. « ويعلمكم الله » يعني العلم اللدني ..

حب اتباع النبي في أعماله وفي أحواله!!

وقد أمرنا الله باتباع نبيه، ان اردنا الفلاح، «قل إن كنتم تحبون الله، فاتبعوني، يحببكم الله ..» وانما يجب اتباعه في اعماله، وفي أحواله، لا في مجرد أعماله.. نحن يجب أن نقلده في صلاته ليصبح لنا حظ من حاله.. فهو يفرغ، بصلاة مفراجه، إلى صلاة صلته .. فحاله الفردية دائماً.. ونحن حين نتقن تقليده، في هذا المستوى، تتم لنا الجمعية، بعد التشتيت، وتتم لنا السلامة الداخلية، بعد الإنقسام.. فنكون بذلك قد جودنا التقليد، حتى أدى بنا إلى الأصالة.. وعند الأصالة يسقط عنا التقليد، ولا تسقط عنا الصلاة، لأن الصلاة الحاجة إليها تمائمة قياماً سرمدياً، ولكنها تلطف، وتدق، كل حين.. فإذا كان السير إلى الله في هذه الدار، وفي البرزخ، وفي الدار الآخرة، لأهل النار، في النار، ولأهل الجنة، في الجنة، هو بالكلمة .. «لا إله إلا الله»، فان الصلاة دائماً طرف منها، بها تنمو، وتتسامى .. والقاعدة في ذلك: «إليه يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح يرفعه ..» .. قوله تعالى: «إليه يصعد الكلم الطيب» .. يعني «لا إله إلا الله» .. «والعمل الصالح يرفعه» .. يعني الصلاة، فالصلاة في قمة الأعمال، حين

كانت « لا إله إلا الله » فى قمة الأقوال ... اننا نحن ندعو الأفراد إلى تحقيق فرديتهم ، بمنهاج الإسلام ، ذلك المنهاج الذى يحقق لهم الشمائل من مرتبة الشريعة الجماعية إلى مراتب الشرائع الفردية ، كما يحقق لهم الإرتفاع من مرحلة التقليد إلى مرتبة الأصالة .. فإن الأفراد ، والأصلاء هم وحدهم الرجال .. هذه هى دعوتنا ، فى قسطاط .. ونحن ، لتحقيق هذه القمة ، ندعو إلى إعداد المجتمع الذى يعيش فيه الأفراد المرشحون لهذه المقامات اعداداً يهيئ كل الفرص لبروز فرديات هؤلاء الأفراد .. وذلك المجتمع ، بالضرورة ، يجب أن يكون مجتمعاً حراً ، يوفر الحرية الإقتصادية « بالاشتراكية » ، ويوفر الحرية السياسية « بالديمقراطية » .. وليست الاشتراكية ، ولا الديمقراطية ، فى شريعة الرسالة الأولى .. هما ليستا فى قرآن الفروع ، وانما هما أصل قرآن الأصول .. ومن هنا جاءت دعوتنا إلى تطوير التشريع ، من آيات الفروع ، إلى آيات الأصول ، لتنبعث الآيات التى كانت فى الرسالة الأولى ، منسوخة ، لتصبح هى صاحبة الوقت اليوم . وتنسخ ، بدلاً عنها ، الآيات التى كانت صاحبة الوقت فى القرن السابع .. ولقد قررنا ، فى سياق كتابنا هذا إليك ، أن آيات الأصول كانت ملزمة للنبى وحده ، منسوخة فى حق الأمة .. وذلك لكان قصورها عن شأوها .. وقررنا أن هذه الآيات هى عمدة السنة النبوية ، ونحن دعاة إلى بعث السنة ..

لم أُلْقِ ميزان الشرع من يدى !!

فأنت ترى إذن إنى لم أُلْقِ ميزان الشرع من يدى، وإنما فهمت الشريعة فى مستواها الجماعى، وفى مستواها الفردى.. فأنا صاحب شريعة فردية، إقتداء بالنبى، وتأسياً بحاله، وأنت ترى أيضاً انى لا أتبع كشفاً يخالف النص، وانما فهمت النصوص على مستويين، على نحو ما أوردت لك فى هذا الكتاب..

أما بعد، فان هذا القول غريب، ولم يقلْه أحد من الأمة، من لدن نزول القرآن، وإلى اليوم.. ولكنه صحيح.. وهو حق.. بل ليس غيره حق اليوم.. وانما هو لم يُقَل لأن وقته لم يكن قد جاء، وانما هو قد جاء اليوم.. وغرابته توجب على العلماء التزامه، على أيسر تقدير إلى أن يبين لهم حقه من باطله، لأن الغرابة أصل فى عودة الدين بمقتضى حديث المعصوم، الذى كثيراً ما أشرنا إليه فى كتابنا هذا: «بدأ الاسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء!! قالوا: من الغرباء يا رسول الله؟؟ قال: الذين يحيون سنتى بعد اندثارها.. أو قال، فى رواية أخرى عن الغرباء: هم فئة قليلة مهتدية، فى فئة كثيرة ضالة..».

ثم أما بعد، فإن هذا الكتاب قد طال، ولا يزال فى النفس شئ يتوقه إلى أن يقال، ولكن لابد من قبض عنان القلم

خوف الاملاك .. وأنت مدعو، أيها الصديق العزيز، إلى مراجعة كتبنا، وبصورة خاصة «الرسالة الثانية من الاسلام» فانك لابد واجد فيها القول الثابت الذى به تطمئن القلوب، وتقر الأعين».

وفى انتظار لك فى جزيل السلام

أخوك المخلص

محمود محمد طه

خاتمة

هذا الحديث الذى جرى تفصيله غريب، وجديد، من جميع الوجوه !! ولكنه هو الدين، الذى لا دين غيره. والغرابة فيه انما هى مما اخبرنا به النبى الكريم عليه افضل الصلاة وأتم التسليم فى حديثه «بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء!!»

وهل ننتظر الغريب والجديد من غير الدين ؟! وهل ننتظر من الدين إلا التجديد والحيوية، لأنه هو السعة الواسعة التى لا تحد بحد يبلغ، ولا تحاط: «قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى، ولو جئنا بمثله مدداً» .. وفى آية أخرى: «كل يوم هو فى شأن» أليس ذلك هو التجديد والحركة، وشأنه تعالى تعليم خلقه، ابداء ذاته ليعرف.. بل على التحقيق، ان الغريب من الدين، والأكثر غرابة، لهو آت كل صبح جديد، لترتفع به الحياة، وتخصب به، وتسلله به السبد الى ربه .. وأى الناس، من عقلاء الناس، ينتظر ان يظل معين الدين آسناً، مواتاً، بدلاً من أن يكون ثراً، دافقاً بماء الحياة، والنماء ؟؟

أم لم يقل النبى الكريم عن القرآن «لا تنقضى عجائبه، ولا

يختلف على كثرة الرد » ؟؟

ألم يقل : « ان من العلم كهيئة المكنون ، لا يعلمه إلا أهل العلم بالله ، فاذا تحدثوا به لا ينكره إلا اهل الغرة بالله » ؟؟

فماذا ينكر المنكرون على هذه الدعوة ؟!!

هل انكروا على انفسهم ، قبل ذلك ، العجلة ، والبعد عن الأناة ، وعدم رقة النظر ، وعدم الصبر على الجديد ، الغريب ، حتى يفهموا ، فيعارضوا أو يوافقوا على هدى ، وبينة ؟؟

الإخوان المسلمون
ام درمان في ١٩٧٦/٢/٢٦م
ص - ب ١١٥١
تلفون ٥٦٩١٢

في هذا الكتاب

- علام يقوم أمرنا ؟؟
- الشرع شرعان والنص نصان !!
- شريعة النبوة وشريعة الرسالة ..
- مثاني القرآن ..
- امة المؤمنين وامة المسلمين ..
- الإسلام إسلامان !!
- الإسلام رسالتان !!
- الرسالة الأولى كالثانية والرسالة الثانية محركة !!
- الصلاة وسيلة الحركة في المراقي
- إنما يبعث الإسلام ببعث الصلاة !!
- يجب اتباع النبي في أعماله وفي أحواله
- لم أُلْقِ ميزان الشرع من يدي !!

الثمن ١٥ قرشاً